مولاي بلحميسي (1930- 2009م): مؤرخ البحر والبحرية في الجزائر

د. أحمد رنيمة*

مقدمة: ينتمي مولاي بلحميسي إلى الجيل الثاني من مدرسة المؤرخين الجزائريين المعاصرين، بمعنى مؤرخي القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. أمّا الجيل الأول امثال عبد الرحمان الجيلالي ومبارك الميلي وتوفيق المدني وغيرهم، فقد التزموا بتحقيق مهمّة إثبات انتماء الجزائر الى فضاء الحضارة العربية الإسلامية، ودحض أطروحة الاستعمار الفرنسي التي روجت لفكرة انتماء هذا البلد إلى الحضارة الأوربية المسيحية منذ فترة الاحتلال الروماني. وكانت كثيرا ما تمتزج الدوافع الوجدانية والأحكام العاطفية على الأدلّة التاريخية التوثيقية والبراهين الفكرية والمنطقية، على الكتابات التاريخية لهذا الجيل. هذا الجيل الذي عمل كثيرا من أجل إثبات هوية الجزائر الجزائرية، بدلا من فكرة الجزائر الفرنسية، على الرغم من كل النقائص فإنّ القيّم العديدة لبحوثهم وأعمالهم من الناحية الموضوعية والمنهجية والتحليلية وحتى الإنسانية لا يمكن انكارها.

أما الجيل الثاني من المؤرخين، المعرّبين منهم والمفرنسين، فلم يكنوا مُجبَرين على بذل الكثير من الجهد لتدعيم أطروحة الجيل الأول، لانّ نتائج الثورة التحريرية التي اندلعت سنة 1954م[1] كانت قد فصلت في مسألة الهوية والانتماء، وحوّلت شعور ووعي النخب الوطنية نحو الفضاء العربي الاسلامي والإفريقي رسميا، على الرّغم من بقاء الاعتقاد بجدارة وتفوق التطور والتقدم العلمي والمعرفي الأوربي والغربي عموما لدى الكثير منهم.

ولد محمد مولاي بلحميسي سنة 1930م في مدينة مازونة شرق ولاية غيليزان الحالية، وكان من الجزائريين القلائل الذين أُتيحت لهم فرصة مواصلة الدراسة، فانتقل إلى تلمسان، ثم التحق بجامعة الجزائر، ثمّ هاجر إلى فرنسا لينال درجة دكتوراه درجة ثالثة من جامعة أيكس

* أستاذ محاضر ب في التاريخ الحديث والمعاصر- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الشلف.

أونبروفس. كما التحق للتدريس بجامعة الجزائر (1966) وقد شغل العديد من مناصب داخل الجامعة، منها مدير معهد علم الآثار حيث كان لي أول لقاء به في خريف سنة 1995م. توفي رحمه الله سنة 2009م بعدما صار أكبر مؤرخي الجزائر العثمانية.

أعمال بلحميسي التاريخية: تجتمع مؤلفات مولاي بلحميسي حول موضوع تاريخ الجزائر البحري، وما يتّصل به من مواضيع متنوعة كالحروب البحرية وبناء السفن والأساطيل وقضايا الأسرى، ومدن المواجهة، والحصون والعلاقات السياسية والتجارية والجوسسة وغيرها. ويبدو أنّ حياته كمؤرخ كانت نموذجية، فكان ذلك المؤرخ الذي يكتب عن مدينته ثم عن منطقته ثم عن وطنه ثمّ عن محيطه الإقليمي أي البحر المتوسط. وهكذا بدأ بلحميسي بكتابة تاريخ مازونة[2] الذي صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر العاصمة، ثم كتابه الثاني حول تاريخ مستغانم[3] باعتبارها المنطقة التي تنتمي إليها مازونة إداريا أنداك. ويقع الكتاب في 176 صفحة، صدرت الطبعة الثانية منه سنة 1982م عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر.

وبعد هذا قام بتأليف كتاب، هو من أهم مؤلفاته على الإطلاق وهو تاريخ البحرية الجزائرية (1516-1830م)،[4] صدرت الطبعة الثانية سنة 1986، عن نفس الدار التي تحول اسمها إلى المؤسسة الوطنية للكتاب، ويقع الكتاب في 217 صفحة، وبعده صدر له كتاب آخر بعنوان الأسرى الجزائريين وأوروبا المسيحية[5]، صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر أيضا سنة 1988م، ويقع في 166 صفحة، وفي سنة 1990م أصدر كتاب الجزائر مدينة الألف مدفع[6] عن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ويقع في 154 صفحة، لكن كتابه الأهم هو أطروحة الدكتوراه التي قدمها في جامعة بوردو بفرنسا سنة 1986م، وكان عنوانها بحرية وبحارة الجزائر (1518-1830)[7]، صدرت في ثلاث أجزاء عن المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 1996م، ثمّ صدرت في طبعة أخرى في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية (2008)، وهناك عمل أخر من أكثر المؤلفات أهمية صدر سنة 1999م عن دار دحلب بالجزائر العاصمة، بعنوان: الجزائر، أوربا والحرب السريّة (1518-1830)[8]، ويقع الكتاب في 221 صفحة.

تتمحور أبحاث ودراسات مولاي بلحميسي حول تاريخ العهد العثماني في الجزائر من الناحية الزمنية، أي منذ دخول الأخوين عروج وخير الدين بربروس ومحاولاتهم الأولى للتمكّن من السلطة في الجزائر ابتداء من سنة 1516م، وتمتد فترة دراساته إلى غاية نهاية هذه الفترة بدخول الاستعمار الفرنسي سنة 1830م، ويضاف إلى هذه المؤلفات التاريخية التي كانت كلها

باللغة الفرنسية العديد من الأعمال باللغة العربية في مقدمتها تحقيق كتاب غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول نال به درجة دكتوراه حلقة ثالثة من جامعة أكس في جنوب فرنسا سنة 1972م، وكذلك كتاب الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، صدر بالجزائر(1972)، وكانت له طبعة ثانية سنة 1981م.

كما كانت له مجموعة معتبرة من المقالات صدرت في المجالات العلمية المتخصصة التي أشرفت على إصدارها الهيئات العلمية بالجامعات الجزائرية، كجامعة الجزائر وجامعة وهران ووزارة الثقافة وغيرها، إضافة إلى مساهمته في نَشر مقالات نُشرت ضمن الأعمال الخاصة بتاريخ البحر المتوسط وتاريخ العصر الحديث عموما، في أوربا وبخاصة في فرنسا وكانت باللغة الفرنسية.

ومن أهم مقالاته: "الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر"، صدر هذا المقال في مجلّة تاريخ وحضارة المغرب عدد 4 سنة (1968)، صص7-18. ومقال: "غارة شارلكان على مدينة الجزائر من المصادر الإسلامية والمصادر الغربية"، وصدر أيضا في مجلة تاريخ وحضارة المغرب عدد 6-7 سنة 1969م، صص34-56. ومقال آخر بعنوان: "جانب من جوانب الصراع الأوروبي: الجوسسة الغربية في الجزائر (1518-1830م)"، صدر عن مجلة الباحث عدد 3 صص16-29. وأيضا مقال بعنوان "إقناع الجيران في أمر الداي شعبان"، صدر في مجلة الدراسات التاريخية، عدد2، سنة (1986)، صص39-56. وكانت المقالات المذكورة باللغة العربية أمّا باللغة الفرنسية، فقد نشر الكثير من المقالات منها:

Les historiens français et l'Algérie à l'époque Ottomane، صدر المقال في مجلّة الأصالة عدد خاص مع ترجمة بالعربية للمقال، وهناك مقال أخر بعنوان:

Alger et Marseille, portes de deux mondes à l'epoque Ottomane: Chrétiens et Musulmans à la Renaissance[9].

وصدر هذا المقال ضمن أعمال ملتقى علمي حول المسلمون والمسيحيون في عصر النهضة.

ومقال آخر بعنوان: **Description de la ville d'Oran**، صدر في مجلة التاريخ الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، السداسي الثاني، (1981). وهناك الكثير من المقالات التي تعذر دراستها في هذه الورقة.

بين المنهج والنظرية: ينطلق مولاي بلحميسي من المنهجية الغربية المعاصرة في كتابة التاريخ، وعيا منه بأنّ هذه المدرسة الغربية من حيث الأطر المنهجية وأدوات البحث التقنية قد اقتبست الكثير من عناصرها عن التراث التاريخي العالمي بما في ذلك مناهج العلوم التي ازدهرت وحفظها التدوين العربي الإسلامي. ولعلّ من بين اسباب تبنيه لهذا الاتجاه هو تكوينه المزدوج وجمعه بين قيم الثقافة الجزائرية وإنتاج الثقافة الفرنسية؛ فهو خرّيج المدرسة الفرنسية في مختلف أطوارها التعليمية، من الابتدائي إلى الجامعة، وفي الوقت ذاته كان متفطنا إلى مسألة الأهمية المركزية للّغة العربية في تشكيل خصوصية الهوية الجزائرية، التي عملت المدرسة الفرنسية الاستعمارية الكثير من أجل تغيير مكوناتها وبنائها، وتدعيم قيّم الحداثة الغربية في المنظومة التعليمية والفكرية والثقافية للجزائر المستعمرة. لقد أدى تكوينه "الفرنسي" هذا وتمكّنه من اللغة العربية الذي سمح له بالاطلاع على أجزاء مهمة من التراث العربي الإسلامي، كل هذا أدى إلى حضور المنهج المقارن لديه بين قيّم الحداثة الغربية وقيم الحضارة الإسلامية ومن خلال ممارسة فعل القراءة والمقارنة بين قيم حضارتين مختلفتين اتضحت لديه الفروق والاختلافات على مستويات متعددة.

تمثّل المستوى الأول في الجانب النظري أي في الرؤى والمفاهيم والتصورات والعقائد والغايات...، ومنه تظهر شخصية بلحميسي الوطنية الذي أكّد دوما أنّ الجزائر هي في الحقيقة جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، وأنّ فترة الاحتلال والاستعمار لم تكن سوى مرحلة يائسة كشف فيها المشروع الاستعماري عن نقاط ضعفه وتناقضاته أكثر ممّا عبّر عن نجاح كان يبتغي تحقيقه على الرغم من الجهد والمال الكثير الذي بذل لصناعة خطاب دعائي وفكري يمجّد القيم الأساسية العالمية، ويعمل على نشرها في وسط الشعوب الأقل تطورا كما كان يدعي دوما.

أما المستوى الثاني فكان المجال الذي تطلّب من هذا المؤرخ الكثير من العمل التقني، والتركيز والتفحص، والمقارنة والنقد أكثر من التحليل والتأمل العقلي. انطلاقا من شعوره بمسؤولية المؤرخ المحترف، والتزامه بأمانة الحقيقة التاريخية، فقد كان يعتمد كليا على المصادر والوثائق الأرشيفية الأصلية، وفي كل بحوثه ومؤلفاته نجد كمًا معتبرا من الوثائق، ففي كتابه تاريخ البحرية الجزائرية يورد حوالي تسع عشرة وثيقة، مصورة ضمن ملاحق الكتاب، يضاف إلى ذلك قائمة مصادر أوربية كثيرة ان لم تكن معظم ما كُتب حول الجزائر في أوربا

خلال الفترة العثمانية، كما كان يقرأ بعدة لغات منها الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية وغيرها. وبالإضافة إلى اعتماده على الوثائق الكثيرة، يُورد بلحميسي الكثير من الرسومات والجداول واللوحات والصور المساعدة على الفهم والإدراك والإقناع.

موضوع التاريخ: لم يُؤرخ بلحميسي للحياة السياسية والأعمال العسكرية والحربية فقط على الرغم من طغيان هذا الجانب على معظم مواضيع دراساته. بل أنه يتعرض إلى كل جوانب التاريخ، ابتداء من الأسطورة وكيف صنعت جذور وتسمية المدن مثل مدينة مستغانم التي يناقش ويقارن أصل نشأتها ومدلول تسميتها في الصفحتين 13 و14 من الكتاب.

وكذلك بالنسبة لمدينة الجزائر في كتابه: الجزائر مدينة الألف مدفع **Alger la ville aux mille canons**، وفي العديد من المواضيع الأخرى. ولكنه يرى دوما أنّ الإطار الجغرافي يمثل المدخل الضروري والأساسي، الذي يعطي للموضوع التاريخي الشكل الضروري من الوضوح، ويمكّن القارئ من ادراك واستيعاب الموضوع المدروس. فالجغرافيا باعتبارها علم المكان والطبيعة التي يتحرك وينشط فيها الإنسان، هي مادة ضرورية واجبارية لدارس التاريخ ولكل الاحداث البشرية الماضية. وفي كل مؤلفاته تقربا يوضح الإطار الجغرافي ويفصّل فيه في عدّة صفحات بأسلوب علمي مباشر.[10] كما يتعرض بلحميسي كمؤرخ إلى العمران باعتباره ظاهرة بشرية ويحلل مظاهره، وكثير ما يعتمد على ابن خلدون في تدعيم بعض الأطروحات التي يحاول اثباتها، أو التحقيق في صدقها.[11] كما حاول ان يستثمر كل المظاهر التاريخية، ذات الطبيعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية والادبية والعسكرية والنفسية وغيرها. فالتاريخ هو ظاهرة بشرية بكل مكونات وخصوصيات الطبيعة البشرية.

تبدأ عادة مؤلفات بلحميسي بمقدمة كغيرها من الأعمال العلمية الجامعية، ثمّ يقسم العمل وفق منهجية مضبوطة وواضحة، يراعي فيها المنهج التاريخي الذي ينطلق من فكرة أنّ كل ظاهرة بشرية هي نتيجة حتمية لظاهرة بشرية أو طبيعية مباشرة وسابقة، وفي الوقت ذاته، تتحول النتيجة إلى علّة لظاهرة اخرى، وهكذا يتحرك التاريخ نحو الأمام، ولكن بشكل حلزوني، أو دوري على غرار رؤية ابن خلدون للتاريخ وتفسيره لظاهرة النشوء والتطور والانحلال. وكثيرا ما كان ينتهي بكتابة خلاصة لمؤلفه، وكثيرا ايضا ما يدّعم أبحاثه بملاحق وفهارس متنوعة كصور الوثائق التاريخية من رسائل والاتفاقيات، ونصوص المعاهدات، وكل انواع الوثائق التي تمكّن

من الحصول عليها. إضافة الى صور المواقع الجغرافية والحضرية المعبرة والمدعمة للمواضيع التي تمت دراستها.

وعلى الرغم من المجهود الكبير الذي بذله مولاي بلحميسي كمؤرخ متخصص، إلاّ أن العمل في مجال تخصصه أي بحرية الجزائر العثمانية ما يزال مجالا خصبا، وأن كمّ الوثائق العربية والعثمانية التي لم يستطع الاطلاع عليها واستثمارها تعد بالألاف، منتشرة في ربوع الجزائر ومعظمها في تركيا، وفي بعض دول أوربا أيضا. وكل هذه الوثائق تحتاج الى جيوش من المؤرخين الباحثين الدارسين، من أجل اخراج حقائقها الى النور الذي سينير من جهته عتمة ما أريد له أن يكون هو الحقيقة، على الرغم من تهافت مضامينه وحججه.

ماذا كتب بلحميسي عن بحرية الجزائر العثمانية؟ إن الدّارس لتاريخ الجزائر وتاريخ بلاد المغرب عموما يصدم بظاهرة الشُحّ والنُدرة والغموض في المادة التاريخية لفترات طويلة. مع ظهور الفينيقيين على السواحل وتأسيسهم لدولة قرطاجة في تونس وانتشار نشاطهم التجاري ومشاريعهم البحرية الكبرى حول كل سواحل البحر المتوسط، وعلى الرغم من إنتاجهم الثقافي والحضاري في مجال الكتابة والتدوين، إلّا أن تاريخ بلاد المغرب في تلك الحقبة بقي مجهولا بسبب قلة المصادر المكتوبة خاصة. ولعلّ من أسباب ذلك، ربما، فقدان أهم المصادر القرطاجية ومنها تلك الوثائق ذات الطابع الاقتصادي من مدونات إحصائية للمبادلات التجارية. إضافة غلى كثرة الحروب وعمليات التدمير المُمنهجة التي تعرّضت لها الممتلكات بعد حرق العاصمة قرطاجة. ومع مطلع سنة 146 ق.م. أصبحت بلاد المغرب تحت حكم الاحتلال الروماني الذي عقبته الغزوات الوندالية ثم الاحتلال البيزنطي الذي استمر إلى غاية ظهور المسلمين كقوة عسكرية وفكرية جديدة أنهت الاستيطان البيزنطي الروماني، والذي هيمنت على مظاهره الديانة المسيحية والثقافة الإغريقية الرومانية، ومع مطلع القرن الثامن الميلادي حيث استتب الحكم العربي الإسلامي نهائيا في بلاد المغرب.

ومنذ بداية هذا العهد ازدهرت الكتابات التاريخية وازدهر التدوين باللغة العربية مع تواجد نادر جدا لاستعمال اللغة البربرية المكتوبة، وشمل التدوين جميع مجالات العلوم والمعارف، كما شمل جوانب الحياة المختلفة. لكن مع نهاية حكم الموحدين (1269م) دخلت الحركة الثقافية المغاربية في مرحلة ضعف وانكماش، على غرار بقية العالم الإسلامي، حتى دخول معظم البلدان الإسلامية والعربية تحت سطوة الاستعمار الحديث.

وعلى الرغم من ذلك فإن الجزائر مثّلت استثناء جديدا خلال مرحلة العصر الحديث، الذي بدأ مع وصول العثمانيين إلى سواحل جنوب البحر المتوسط الغربي، وذلك في إطار عملياتهم العسكرية البحرية الكبرى التي هدفت أساسا إلى إنقاذ مسلمي الأندلس الذين هُزموا في اسبانيا من طرف القوى الكاثوليكية الصاعدة. واستمرت مطاردتهم على سواحل المغرب والجزائر وتونس وطرابلس. وفي ظروف ضعف بلاد المغرب سياسيا تمّ احتلال مناطق استراتيجية ونقاط قوى كانت محصنة، مثل سبتة ومليلة المغربيتين ووهران وبجاية في الجزائر وحلق الوادي في تونس وطرابلس في ليبيا. ومع هذا الوضع المستجد، ظهرت شخصيتان عظيمتان جعلتا من بلاد المغرب باستثناء المغرب الأقصى جزءا متكاملا مع الخلافة العثمانية في اسطنبول. وتأسست ما عرف تاريخيا بسلطنة[12] الجزائر العثمانية، وخلال فترة حكم هذه السلطنة التي دامت حوالي ثلاثة قرون، فإن الجزائر بقيت جزءا من العالم الإسلامي دينيا وثقافيا وحضاريا. ولكن بعد تعرضها للاحتلال سنة 1830م من طرف فرنسا. فإنّ الكثير من مكوناتها الاجتماعية والاقتصادية قدت بدأت في التغيّر والتحوّل بسبب تبدّل الأوضاع السياسية والعسكرية والإدارية والقضائية. أمّا من الناحية الثقافية فإن الحركة الاستعمارية قد هيئت كل الظروف ووفرت كل الشروط لتحويل الجزائر من أقوى نقطة ارتكاز في جسد الخلافة الإسلامية غربًا إلى إحدى أقوى نقاط الارتكاز في جسد أوربا المسيحية جنوبا.

ولعل أهم ما قام به الاحتلال الفرنسي في أيامه الأولى في الجزائر، كان العمل على التخلّص من معظم المادة الأرشيفية، والوثائق الرسمية التي وجدت في دار السلطان، وفي عواصم البايلك الثلاث، وفي مجموع الإدارات المحلية. كما عملت الحركة الاستعمارية على تحوير كل المادة المدوّنة من كتابات ووثائق وأرشيف وغيرها وبطريقة ممنهجة من أجل تحويل الجزائر من فضائها الشرقي إلى عالم الحداثة الغربية. وهذا ما دفع إلى تبنّي السياسات الجديدة المتطرفة من خلال إصدار مجموعة من المنظومات القانونية من طرف المؤسسات الحكومية المتعاقبة في فرنسا ومحاولة تطبيقيها بشتى الطرق من اجل التحقيق الفعلي للجزائر الفرنسية.

لم يكن قرن واثنان وثلاثون سنة من العمل الموجّه والمدروس والمكثف بالزمن الكافي لجعل الجزائر تفقد مقاومات وقيّم الهوية العربية الإسلامية، والرغم من نجاح مشروع الحداثة الغربية ولو شكليا، فإنّ عملية إعادة بناء الهوية لم يكن بالعملية السهلة أيضا. فكان على

النخب الوطنية بعد فشل المقاومة المسلحة ضد الاحتلال خلال القرن التاسع عشر الميلادي، أن تبذل مجهودا مضاعفا من أجل البحث عن نقاط الضعف في فلسفة الاستعمار واستبدال تناقضات الخطاب الاستعماري بالعناصر البنّاءة في قيم التراث العربي الإسلامين وتحديد أهم عناصر التراث التي يمكن أن تحلّ بعض إشكالات المجتمع المعاصر وبناء دولة المؤسسات وتحقيق التنمية الشاملة.

وكما سبق وأن تمّ توضيحه، فإن مدرسة التاريخ الوطنية هي التي شرعت في تنفيذ هذا المشروع عبر جيل المؤرخين الأولى، وبما أن مولاي بلحميسي ينتمي إلى الجيل الثاني من مدرسة التاريخ الجزائرية، فإنّه لم يحاول فقط إثبات أنّ وجود الجزائر كسلطة وكمجتمع، هو سابق عن وجود الجزائر الفرنسية، بل استطاع أن يُثبت تاريخيا، بالاعتماد على كمٍّ معتبر من الوثائق المكتوبة والصور والخرائط والخطاطات التي كانت في معظمها إن لم نَقُل كلّها، قد تمّ تدوينها من طرف الأعداء الرسميين للجزائر، الذين كانوا من المسيحيين الأوربيين الغربيين اللاتينيين خاصة. فهو ينطلق من المادة الأرشيفية والمصادر الغربية التي تمّ حفضها بشكل جيد في المكتبات والمراكز المتخصصة في الدول الأوربية، ثمّ يقوم بتحليلها ومقارنة محتوياتها واستخراج تناقضاتها ثمّ استخلاص ما يمثّل الحقيقة التاريخية أو يقترب منها. ففي كتاب تاريخ البحرية الجزائرية (1516-1830)، يعتمد على خمسة مصادر باللغة العربية ومقالتين كتبهما بنفسه في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، أما باللغات الغربية فإنه يورد قائمة طويلة من المصادر والدراسات تصل إلى سبعة وخمسين عنوانا. كما يضع في آخر الكتاب قائمة للمصطلحات الواردة في المتن، ويضع لها شروحا معجمية واصطلاحية، بسبب طبيعتها المتنوعة بين اللغات العربية والعثمانية واللغات الأوربية المختلفة. أمّا في كتابه الأسرى الجزائريين وأوروبا المسيحية، فإنه يعتمد مصادر ومراجع مصنفة كما يلي:

المصادر الغربية، ثمّ وثائق الأرشيف، الوثائق غير المنشورة، أي المخطوطة، المراكز والمؤسسات الحافظة للمادة الوثائقية والأرشيفية، ثمّ المراسلات والاتفاقيات، وفي النهاية يصل إلى ذكر المصادر المطبوعة ثمّ الدراسات والمقالات الجديدة.

SOURCES OCCIDENTALES DOCUMENTS D'ARCHIVES
A) Inédits
1. Chambre de Commerce de Marseille (A.C.C.M.).
Séries B/76 a 88.

G/6-34-50-51-88
J/1 350-1 351-1 366-1 367
M R 46.4.1.

2. Archives municipales de Marseille (A.M.M.). Séries HH-FF-EE 166 et 174. GG 105-106.

3. Archives départementales des Bouches-du-Rhône (A.D.B.R.).
Séries IX-B 1(1549-1620); IX B2 (1610-1674). 9 B3 - C 5256 - 5258.

4. Archives de la troisième région maritime (Toulon). 0-Registre 10.106 bis.

5. Archives du Gouvernement général de l'Algérie (A.G.G.A.).
A (Consulat de France à Alger) 1686-1831.
B (Agence des concessions d'Afrique) 1686-1827.
C (Archives espagnoles des XVe-XIXe s.).

6. Archives nationales (Paris)
Marine : sous séries B^7/1-2-3-4-5-6-49-58-64-89-93-214-215. B^4/11.

8. Correspondances
GRAMMONT (H. de) : Correspondance des consuls d'Alger (16901742). Revue africaine (R.A.), 1887-1888-1889.
PLANTET (E.): Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t. I (1579-1700), t. II (1700-1833).

9. Divers.
DEVOULX (A.): «tachri fat (recueil de notices historiques», Alger, 1852.
DEVOULX (A.) : Les Archives du Consulat General de France à Alger, Alger, 1865.

10. Traites Algéro-Français

1619 (21 mars): Paix et Commerce.
1628 (19 septembre): Paix et Commerce. 1640 (7 juillet): Concessions d'Afrique. 1666 (17 mai): Paix et Commerce.
1689 (27 septembre): Paix et Commerce.
1719 (7 décembre): Paix et Commerce.
1764 (16 janvier): Convention particulière.
1790 (29 mars et 23 juin): Convention Particulière. 1796 (9 messidor an IV): Prêt algérien au Directoire.
1800 (19 juillet): Armistice.
1800 (30 septembre): Paix et Commerce.
1801 (29 aout): Paix et Commerce.
1814 (11 juillet): Reconnaissance de Louis XVIII par Alger. 1815 (30 mars et 16 avril): Paix et Commerce.
1818 (29 mars): Paix et Commerce.

11. Traites Algérie - Puissances chrétiennes

1662 (avril) : Algérie - Hollande.
1733: Algérie - Empereur d'Autriche. 1746 (10 aout.): Algérie - Danemark. 1749: Algérie - Grand Duche de Toscane.
1751: Algérie - République de Hambourg. 1757: Algérie - Pays Bas.
1763: Algérie - Venise.
1767 (24 mars) : Algérie - Venise. 1768 (23 juin) : Algérie - Venise. 1786: Algérie - Espagne.

1791: Algérie - Espagne.
1810: Algérie - Portugal (treve). 1813: Algérie -Portugal (traites). 1816: Algérie - Angleterre.
1824: Algérie - Angleterre.

OUVRAGES IMPRIMES

BLAVIN : *La condition et la vie des Français dans la Régence d'Alger,* Alger, 1899.
BONO (S.) : *I Corsari barbareschi,* Turino, 1940.
BRAUDEL (F.) : *La Méditerranée et le monde méditerranéen l'époque de Philippe II,* Paris, 1949-1966-1976.
BRAUDEL et ROMANO : *Navires et marchandises à l'entrée du port de Livourne (1547-1611).*
MANCA (B.): Gli Stati de Maghrib e la politca estera de regno sardo (1773-1787), Milano, 1971.
DUCHENE (R.) : *Marseille au passé,* Roane, 1982.
GODARD (l'Abbe): *Les soirées algériennes, corsaires, esclaves et martyrs de Barbarie,* Tours, 1875.
GRAMMONT (H.) : *Histoire d'Alger sous la domination turque,* Paris, 1887.
GRAMMONT (H.) : *Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIP siècle,* Alger, 1879.
HAEDO (F.D. de) : *Topographie et Histoire générale d'Alger,* trad. Monnereau et Berbrugger, R.A. 1870-1871.
HAEDO (F.D. de) : *Histoire des Rois d'Alger;* trad. de Grammont, Alger, 1881.
LA RONCIERE (Ch. de) : *Histoire de la marine française,* 6 vol. 1899-1932.
MORGAN (G.) : *Histoire des Etats barbaresques...* trad. de l'anglais, Paris, 2 vol. 1757.
MASSON (P.): *Les galères de France (1481-1781),* Paris, 1938. ORSE (l'Abbe) : *Alger pendant cent ans et la rédemption des captifs,* Paris, 1857.
SUE (E.) : *Histoire de la Marine française,* Paris, 1865, 4 vol. THEDENAT (M.) : *Les aventures de Thedenat, esclave et ministre du Bey de Mascara,* R.A., 1948, pp. 143-184.
TEISSIER (0.) : *Visite* a *I 'Arsenal de Toulon,* Paris, 1961.
TURBET DELOF (G.): *L'Afrique barbaresque dans la littérature française, aux XVI-XVIe siècles,* Genève, 1973.

ARTICLES DE REVUES

AYMARD (M.) : « *Chiourme et Galères dans la seconde moitié du XVIe siècle* », Mélanges F. Braudel, Toulouse, I, pp. 49-64.
BERBRUGGER (A.) : *Captif et patronne à Alger.* Rev. afric. 1864, pp. 302-315.
BERBRUGGER (A.) : *«De l'esclavage musulman en France»* Rev. Africaine, 1856, pp. 38-41.
BONO (S.) : *Catture di Musulmani sulk coste italiane,* Revue Africa, XXXV, 1980, pp. 281-286.
BONO (S.) : *Schiavi musulmani sulk galere e nei bagni d'Italia dal XVI al XIX secolo, Le genti del mediterraneo,* Napoli, 1981, pp. 845-846.
BONO (S.): Achat d'esclaves turcs pour les galères pontificales (XVI-XVIIe s.). Revue de l'Occident Musulman et de la méditerranée, 39/1985, pp. 79-92.
BOYER (P.) : «La *chiourme turque des galères de France, 16651687* », R.O.M.M. 6/1969, pp. 53-74.

CARRIERES : « *Le trafic des esclaves en Méditerranée française* » Revue Neptunia, 108/1972.

FOURNIER : « *Un marché de Tures...* » Bulletin Historique et Philologique, 1901, pp. 572-574.

GODECHOT (J.) : «*La course maltaise le long des côtes barbaresques la fin du XVIIIe siècle*» R.A., 1952, pp. 105-106.

GRAMMONT (H. de) : «*La course, l'esclavage et la rédemption à Alger* » R.H. 1884-1885.

MATHIEX (J.) : «*Trafic et prix de l'homme en Méditerranée au XVIIIe siècle* » A.E.S.C. 1954, pp. 157-164.

MATHIEX U.) : « *Levant, Barbarie et Europe chrétienne* » Bull. de la Société d'histoire moderne, 2/1958.

PIGNON *U.): «Les relations franco-tunisiennes au début du XVIe siècle, I 'accord de 1606 »*, R.A. 1958, pp. 409-421.

RIGGIO (A.) : «*Esclaves et missionnaires en Barbarie, 1672-1682*» R.A. 1949, pp. 38-64.

لا يختلف هذا النموذج التوثيقي عما هو متّبع في مختلف الجامعات المحترمة عالميا والمراكز العالمية المتخصصة في الدراسات والأبحاث في الإنسانيات، ويدلّ هذا الاختيار على رؤية واسعة وأفق مفتوح وعلى يقين من امتلاك الحقيقة التي يجب العمل بجد على إظهارها والتخلص من عقدة الخوف والنقص التي ميزت مراحل تراجع المسلمين ثقافيا وعلميا. وبهذا فإنّ مولاي بالحميسي، قد أستطاع الانتقال من المؤرخ المشتغل برواية التاريخ الدعائي –على الرغم من وجود عناصر الحقيقة في هذا الشكل من التاريخ– إلى مؤرخ وكاتب التاريخ العلمي الذي يعتمد على تقنيات البحث التاريخي الدقيقة وعلى الصبر في تقليب الوثائق، وإجراء العمليات الذهنية الضرورية من تمحيص وتحقق ومقارنة ونقد إلى غير ذلك...، والأكثر من كل هذا هو امتلاك الشجاعة في العدل والإنصاف بقول الحق، فلم يكن يُمجّد كل ما كان جزائريا ولم يكن يُبرر ما حدث تاريخا من أشكال الخطأ البشري، ومن طغيان سياسي، واختلال ميزان العدل بين الحكام والرعية، فكل ما وصل إليه من أحداث في الجزائر خلال العهد العثماني وفي مجال البحرية خاصة، كان يحاول ذكر بسلبياته وإيجابياته، وكان يسجّل الكثير من الأخطاء وحالات الإهمال وفترات التقاعس التي عاشتها البحرية الجزائرية وبخاصة خلال الفترة الأخيرة من حكم سلاطين الجزائر العثمانية. وكانت له الثير من الاستنتاجات الهامة حول تحليل أسباب الضعف والتراجع الذي ميّز حيات الجزائريين، في مقابل التطور المستمر والبناء العقلاني والعلمي للدولة وللمجتمع الحديث في الدول الغربية المسيحية.

الهوامش:

1– كل التواريخ الواردة في هذه الورقة هي موافقة للتقويم الميلادي.

2- *Histoire de Mazouna*, Société Nationale d'Edition et de la Diffusion, Alger.

3- 1982, *Histoire de Mostaganem, des origines à nos jours,* Société Nationale d'Edition et de la Diffusion, Alger, 1982, 176 pages.

4- 1986, *Histoire de la Marine Algérienne (1516-1830),* Entreprise Nationale du Livre, Alger, 217 pages.

5- 1988, *les captifs algériens et l'Europe chrétienne*, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 166 pages.

6- 1990, *Alger la ville a mille canons*, Entreprise Nationale du Livre, Alger, 154 pages.

7- 1996, *Marine et Marins d'Alger (1518-1830),* Tome 1, *Les Navires et les Hommes,* Tome 2, *face à l'Europe,* Tome 3, *Grandeur et Décadence,* Bibliothèque National Algérienne, Alger.

8- 1999, *Alger, l'Europe et la guerre secrète (1518-1830),* éditions Dahlab, Alger, 221 pages.

9- 1994, *Alger et Marseille, portes de deux mondes à l'époque Ottomane*, pp 305-313, Centre d'Etudes Supérieures de la Renaissance, In, Chrétiens et Musulmans à la Renaissance, actes du 37eme colloque international du CESR, réunie par Bartolomé Bennassar et Robert Sauzet, Honore Champion Editeur, Paris.

10- *Histoire de Mostaganem,* op. cit., pp 15-17; *Histoire de la Marine Algérienne*, op. cit., pp 13-23.

11- *Marine et Marins d'Alger,* p 33-37; *Histoire de la Marine Algérienne*, p 14. / *Histoire de Mostaganem,* pp 34-35.

12– اختلفت المصادر الغربية في تسمية الجزائر العثمانية ففي بعضها نجد أسم **Régence/ Regency**، اي الإيالة أو حكم الوصي على ولي العهد، وهذه التسمية خطأ كبير بسبب عدم وجود النظام الوراثي الذي يستلزم وجود ولي العهد، وكذلك بالنسبة لتسمية المملكة **Royaume**. أما الاسم الحقيقي للجزائر العثمانية هو السلطنة لأن المراسيم والوثائق الرسمية كانت تسمي حاكم الجزائر بالسلطان، وكانت العاصمة تدعى دار السلطان، أما السلطان العثماني في إسطنبول فكان خليفة ابتداء من فترة حكم سليم الأول.